محب الدين الخطيب وموقفه من أفغانستان والإصلاحات فيها

د/ حسين محمد الشريف جامعة المسيلة

الملخّص:

محب الدين الخطيب وموقفه من أفغانستان والإصلاحات فيها 1926م-1948م:

كان محب الدّين الخطيب من كبار المفكرين والكتاب الذين اهتموا بقضايا العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية 1924م. ومن أهم المتتبعين للإصلاحات التي شهدتها دوله المستقلّة آنذاك "1926-1948م" ومنها أفغانستان التي لم يكن بعيدا عن أحداثها وعمّا يسمى بالإصلاحات التي حاول ساسته تطبيقها قدوة بتركيا العلمانية. وهذا ما حاولنا توضيحه في هذا المقال التاريخي مبيّنين أنّ الخطيب الكاتب والمؤلف والثائر المسلم الهادئ، لم يكن وقتها ليقف موقف المتفرج على ما يجري في تركيا التي أدارت ظهرها للإسلام والمسلمين وأفغانستان وغيرهما من البلاد الإسلامية الأخرى.

Résumé :

Mohib Eddine El Khatib et sa position envers les réformes en Afghanistan de 1926 à 1948:

Mohib Eddine El Khatib était l'un des plus grands écrivains intellectuels qui se sont intéressés aux différents événements qui se sont passés dans le monde musulman après la chute du califat ottoman en 1924. De plus, il était l'un des plus importants personnages suivant de près les réformes que les états indépendants ont connu durant cette période et parmi ces pays on peut citer l'Afghanistan et les soi-disant réformes que les hommes politiques de ce pays essayaient de lui trouver et le référent était le modèle turc basé sur la laïcité. Dans cet article on a voulu éclaircir que l'auteur El Khatib, le musulman calme et rebelle n'avait pas pris une position de spectateur sur ce qui s'est passé durant l'époque en Turquie et cette dernière a tourné le dos à l'islam, aux musulmans et à d'autres pays musulmans.

Summary of the article written by Mohib Edine El Khatib and his position towards the reforms that occured in Afghanistan between 1926 and 1948:

Mohib Edine El Khatib was one of the most famous writers and intellectuals who were interested in events happening in the muslim world. After the fall of the ottoman caliphate in 1924. In addition , he was one of the most important individuals who were closest tho the reforms evolutions that the independent states witnessed during that period of time, and among those countries we can find Afghanistan. The so called reforms that politicians were trying to find a referent and the Turkish model based on " Laicity ". In this article, we wanted to show that the author El Khatib the quiet rebel muslim did not take a position of an outsider eye on all what was happening during that period of time in Turkey . This latter ignored Islam and muslims in Afghanistan and also the other muslim countries.

مقدمة:

لم يكن محب الدين الخطيب* بعيدا عن أحداث أفغانستان وأحوال المسلمين هناك، فلقد كان يحاول التقاط أخبارها من وكالات الأنباء والصحف المختلفة، إضافة إلى المراسلات الواردة إليه من أفغانستان[2] ممن يجمعهم به الساسة حبّ المعرفة والتعارف وحتى السياسة والعلماء الذين كانوا يزورون مصر بين الفينة والأخرى وإذا كان ما كتبه قد يوصف بالقليل فذلك ناتج عن طبيعة تلك البلاد الجبلية والقاسية والتي تتناثر مدنها هنا وهناك مع صعوبة المواصلات وعدم وجود الطرق التي تسهّل الانتقال ووصول الأخبار.

وبلاد أفغانستان هي بلاد منحوتة في الصخور من الجبال مساحتها 652400 ألف كلم2[3] يحدّها شمالا طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان وطول حدودها 1937 كلم، منها 1200 كلم مع الاتحاد السوفياتي قديما ونهر جيحون ومن الشرق والجنوب باكستان وغربا إيران ومن الشمال الشرقي الصين[4]. «تركستان الشرقية المستعمرة من طرف الصين».

---

* محب الدين الخطيب: سوري النشأة ولد في دمشق عام 1886م وتوفي بالقاهرة عام 1969م، التحق بكلية الآداب والحقوق في اسطنبول عام 1905م، أسس بها رفقة الأمير الشهابي جمعية النهضة العربية عام 1907م، لاحقته السلطات العثمانية لنشاطه القومي فهرب إلى اليمن ثم عادة إلى سورية بعد الإنقلاب العثماني عام 1908م بعدها هاجر إلى مصر عام 1909م، شارك في الثورة العربية الكبرى عام 1916م وحرر جريدة القبلة الناطقة باسمها ثم تولى رئاسة تحرير جريدة العاصمة في العهد الفيصلي بسورية التي غادرها إلى مصر، أنشأ في مصر مجلة الزهراء ثم صحيفة الفتح 1926-1948م، كان من مؤسسي جمعية الشبان المسلمين عام 1928م بالقاهرة، سخر قلمه وفكره لخدمة القضايا العربية والاسلامية عقب سقوط الخلافة العثمانية عام 1924م. (أنظر مذكرات محب الدين الخطيب التي نشرها الدكتور صالح الخرفي لأول مرة في حلقات عديدة في مجلة الثقافة التي كان يشرف عليها ابتداء من العدد: 6 الصادر في ذي القعدة 1391هـ - يناير 1972م وما يليه).

(2): راجع في ذلك الفتح العدد 130، ص 12، الدايلي تلغراف في الله آباد بالهند، الفتح، العدد 143، ص 5، وجريدة إصلاح الأفغانية، العدد 143 والعدد 177 ومجلة الجامعة العربية عن جريدة النور اللاّهورية الهندية، الفتح، العدد 120، ص 7، العام 1928م، وصحف المقطم وغيرها.....

(3): MIKE BARRY, AFGHANISTAN, Petite Planète, Tardy Quercy, Auvergne A Bourges-Paris 6e, France,1974, P. 186.

(4): نفسه، ص 11.

سميت في العصور القديمة «آريانا» وفي القرن الخامس الميلادي «خراسان» أي بلاد المشرق وفي القرن التاسع عشر عرفت باسم «أفغانستان» أي أرض الأفغان[5]، وصفها الجغرافيون باسم سقف العالم نظرا لارتفاع جبالها الذي يصل إلى 6059 مترا[6].

تتكوّن بشريا من عدة قوميات، الباشتون، والطاجيك والأوزبك والبلوش[*] «العرب» والهزارة « ذوي الأصل المغولي» والفورستان والبامير الأفغاني والتركمان. وفيها عشرون لغة غير أن المعتمد منها الباشتو وهي خليط من الأوردية والعربية، واللّغة الدرّية وهي مزيج من العربية والفارسية وتكتب بالحروف العربية[7].

وأما فاتح أفغانستان فهو المهلّب بن أبي صفرة كما يقول البلاذري في كتاب "فتوح البلدان" عام 44هـ/ 664م وكان ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان حيث انتصر على الأفغانيين بعد قتال مرير فظفر وغنم، ثم ولّي هشام بن عمر الثغلبي مهمة فتح "قندهار" فأخصبت البلاد في ولايته فتبركوا به ودوّخ الثغر واحكم أموره. وهذا وصف البلاذرى لما حصل.

وفي تاريخها القديم جاءها الإسكندر المقدوني عام 330ق.م واستقر خلفاؤه فيها لمدة 200 عام[8]. وفي أواخر العهد اليوناني انحدر الساكيون من جبالها الشمالية وشكلوا دولة "البارتيين" وفي عام 165ق.م قامت دولة "الكوشانيين" ودامت 125 عاما[9].

---

(5): محمد العيد مطر، أيام في بلاد الأفغان، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" ط 1، بغداد، العراق، 1986م، ص 11.

(6): نفسه، ص. 12.

(*): البلوش: يتكونون من أربع وأربعين قبيلة وتتميز بتقاليدها وتواريخها وأنسابها وأسمائها عن الأقوام الأخرى القاطنة معها في إقليم بلوجستان. وهي تنحدر عن أبناء القُفُس والقفص اليمانيين والشاميين وبعضها الآخر من نسل العرب البابليين والعرب الفاتحيين الذين فتحوا، كرمان، ومكران وسيستان والسند ونشروا دعوة الإسلام. "راجع معن شناع العجلي الحكّامي، بلوجستان، ديار العرب، ط 1، ذي قار، العراق، 1399هـ/ 1979م، ص 1.

(7): نفسه.

(8): محمد العيد مطر، المرجع السابق، ص 17.

(9): نفسه.

وفي القرن5 م قامت دولة "الهياطلة" وهم آريون كما يرى علماء التاريخ وامتدت دولتهم من كشمير الهندية شرقا إلى هراة، على أن البلاد عرفت حروبا بين الملك اليفتالي "أخشو نوار" والملك الساساني "فيروز" فانهزم الملك الساساني وعقد مع خصمه معاهدة سرعان ما نقضها وذلك في نحو عام 430ق.م. وتأرجح الحكم فيما بين المملكتين حتى جاء الإسلام إليها[10] وكانت البداية أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأكمل معاوية المهمة على يد المهلب بن أبي صفرة فانتشر فيها الإسلام الذي لاقى قبولا وإقبالا، وعرفت البلاد قيام دول إسلامية منها "الطاهرية" ومؤسّسها طاهر بن الحسين بن مصعب عام 205هـ / 820م. قائد جيش المأمون العباسي في حروب خراسان[11]. والصفارية لمؤسّسها يعقوب بن ليث الصفار عام 247هـ - 861م وخلفه أخوه عمر بن ليث الذي اصطدم مع الدولة السمانية لمؤسسها "أسد بن سمان" 261هـ- 874م والذي أسلم أيام المأمون بن الرشيد[12].

والدولة الغزنوية في قلب أفغانستان والتي دامت من 912هـ / إلى 1187م وتلاها دولة السلاجقة والغوريين والخوارزمشاهيين إلى أن استولى المغول على خراسان وأثناء ركود دولتهم ظهرت الدولة الصفوية واستولت على هراة وقندهار وتعاقبت دول أخرى على البلاد كدولة الهوتكين والإبداليين التي حكمت ما بين (1160- 1257هـ) (-1747 1841م). وجاءت هجمة الإنجليز على كابل وقندهار وكان الفشل حليفها أيام حكم الملك محمد زائي ومن أشهر ملوك هذه السلالة نادر شاه و محمد ظاهر شاه[13].

وبعد الحرب العالمية الأولى وانتصار الشيوعية في روسيا وقضائها على النظام القيصري ، كان لأفغانستان الدور النشط في وقاية العالم الإسلامي من السقوط تحت سيطرة الروس أو الخضوع لسلطان بريطانيا الذي انتهى عام 1919م إلى انتصار ديبلوماسي أحرزته أفغانستان رغم هزيمتها العسكرية، إذ تخلّت بريطانيا عن فكرة

(10): المرجع السابق نفسه، ص 18.

(11): نفسه، ص 19.

(12): نفسه.

(13): نفسه، ص 20.

الاستيلاء على تلك البلاد وكان على الاتحاد السوفياتي بدوره التخلي عن مشروع إدماجها ضمن الجمهوريات التركية السوفياتية التي أسسها[14].

وقد حكمت السلالة المالكة تلك البلاد فبعد مقتل الشاه حبيب الله في ثورة 20 فبراير 1919م بقيادة أخيه نصر الله. خلفه ابنه أمان الله الذي وفّق إلى إخضاع ثورتي الألزاي في عام 1923م والمنكل عام 1924م ومن ثم إخضاع الباتان الذين عاش كثرتهم في الهند تحت الحكم البريطاني[15].

وقد ارتأى هذا الملك الشاب أن يتوجّه بالإصلاح داخل بلاده أسوة بما فعله مصطفى أتاتورك في تركيا ورضا بهلوي في إيران، والانتقال دفعة واحدة إلى دولة متمدّنة، مما أدّى إلى قيام ثورة 1928م أين كان في أوربا يعدّ عدّة الإصلاحات الجديدة[16] لتطبيقها في بلاده.

أ- الخطيب وموقفه من إصلاحات الملك أمان الله خان:

بلاد الأفغان التي تبعد عن مصر آلاف الكيلوميترات وليس بينها وبين مصر وسائل للاتصال آنذاك ومع ذلك نرى الخطيب في مقالته: "الحرّية في بلاد الأفغان"[17] قد امتدّت أنظاره إلى تلك البلاد الإسلامية مهتما بما يجري على أرضها وقد رأى الكماليين يتسلّطون على ذوي التوجه الإسلامي في تركيا ويكتمون أنفاس المؤذّنين بـ "الله أكبر" وعقب ذلك ظهر في أفغانستان "أمان الله" حاكما لها فسار على نحو مصطفى كمال أتاتورك فها هي زوجته تقبّل الشبان المسلمين في باريس ثم في كابل[18] ومع ذلك فهو يرى بأنّ بلاد المسلمين المستقلة ثلاثة: إيران وجزيرة العرب وأفغانستان، أما إيران فشيعية وأما السعودية فوهّابية وأما بلاده أفغانستان فهي سنيّة. ويتساءل الخطيب أية سنيّة

(14): كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية (أفغانستان في العصر الحديث) "نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، ص 800.

(15): نفسه.

(16): نفسه، ص 810، وأنظر كذلك شكيب أرسلان، ثورة الأفغان، الفتح، العدد 132، 24 يناير 1929م، السنة 3، ص 8 – 9 – 10- 11.

(17): محب الدين الخطيب، الحرية في بلاد الأفغان، الفتح، العدد 119، جمادى الأولى 1347هـ، 25 أكتوبر 1928م، السنة 3، ص 2 – 3 - 4.

(18): نفسه، ص 2.

هذه؟ و هل هي سنّية النصارى في طقوسهم و تقاليدهم البيئية والاجتماعية التي يريد أن يجبر أمتّه على إتباعها أم سنّة مصطفى كمال فيما يدعو إليه من إباحية وتهتّك ومجاهرة الله بالعصيان؟[19].

ويزيد تساؤله فيقول:«أين هما من الإيرانيين وتمسّكهم بالدين الإسلامي الذي منع شاه إيران من سبق نظيريه إلى المنكرات»[20].

وقد استهل الخطيب مقالته بالترّحم على الشهيد الشيخ "بير صاحب" أي المرشد الأعظم باللّغة العربية الذي سفك دماءه لأنه استنكر ظهور "ثريا هانم" حرم الملك أمان الله بين الرجال وتقبيلها الشبان الأجانب عنها على مرأى من الناس وهو الرجل الذي له حرمته ومكانته وتعاف نفسه الشريفة أن يرى شعار الذين أذلّوا الإسلام موضوعا على هامات المسلمين[21] وكذبوا حين أشاعوا عنه أنّه ضد تأسيس مصنع للأسلحة في بلاد الأفغان لأنه ممن يدعو إلى ما فيه قوة الحكومات الإسلامية متمسّكا بدعوة الله تعالى إلى الإعداد بكل أنواع القوة التي تقوّي شوكة المسلمين[22]، ولقد كانت مؤامرة قذرة نفذّها أعداء الإسلام[23].

وينتهي الخطيب إلى القول:«إنّ هذا كلام رجل يهذي وهذيانه دليل فشله، بل إقدامه على سفك الدم الطاهر دليل على انّ أمامه عقبات صعبة لا يستطيع أن يجتازها بغير الأساليب التي يتبعها قطاع الطرق وسيعلم أمان الله خان، أنّ دم "بير صاحب" سينتصب أمامه في كل خطوة من خطواته وسيورده موارد التهلكة ومن يَعِشْ يَرَ....!»[24].

(19):المصدر السابق نفسه.

(20): نفسه.

(21): نفسه، ص 1.

(22): نفسه.

(23): نفسه، ص 2.

(24): نفسه، ص 3.

ب- وتحت عنوان: وقفة أمام كابل:

أشار الخطيب في مستهلّه إلى ما قاله الأمير شكيب أرسلان في حقّ فاتح "دهلي" وكشمير ولا هور "محمود بن سبكتكين" وتسميته له باسم "اسكندر الإسلام" وهو الفتح الذي تضاءلت أمامه الفتوح وأثنت عليه الملائكة والروح لأنّه حطّم الصّنم الأعظم "سومنات"[25].

كما أشار الخطيب إلى أن المسلمين كانوا يرمقون "كابل" بعين الحرمة والإجلال ويعتبرونها القلعة المجيدة التي تمسّك جنودها بعهد الوفاء للإسلام وهذه العاصمة احتلّها رسل أنقرة دعاة الانتفاض والانتكاس وكادوا يخلعون عنها رداءها الإسلامي[26] غير أن الأمّة الأفغانية ضاق صدرها بهم فتنحنحت وزمجرت وزحفت من كلّ حدب وصوب قاصدة "جلال آباد" فأرغمت أنف الشيطان فيها ثمّ تقدمت إلى "كابل" فقالت فيها كلمتها[27] ويرى الخطيب بأن دعاة الإلحاد مخذولون سواء علموا أو جهلوا والهداية الإسلامية لا خوف عليها لأن الله تكفل بحفظها[28]. وما كان الله عليه حفيظا لا تقوى قوّة الشرّ! على إبادته.

ويعقب الخطيب على ذلك فيضيف: "....نحن كنا أوفى لملك الأفغان يوم كنّا ننتقد برامج رسل أنقرة في كابل و كنّا أحرص منهم على رفعته وتثبيت أركان دولته يوم كنّا نقول: "إنّ الإصلاح يكون بنشر المعارف وتأييدها بالدّين، وأن القوة بترقية الصناعة والاستعانة عليها برجال الدين، وأن السّؤدد بحسن الإدارة وباستمالة قلوب الأمّة إليها"[29].

مذكرّا بأن الله تعالى أمر بالإعداد والاستعداد و هذا لا يكون إلاّ بالمعارف الكونية والصناعات بأنواعها و ما يلزمها من علوم وأن الإصلاح الحقيقي هو الذي يتناول هذا

(25): محب الدين الخطيب، وقفة أمام كابل، الفتح، العدد 127، 8 رجب 1347هـ، 20 ديسمبر 1928م، السنة 3، ص 1.

(26): نفسه.

(27): نفسه.

(28): نفسه، ص 2.

(29): نفسه.

اللّباب لا القشور وأن الجمود والجحود هما مصدر الخطر ولابد من التمّسك بفضائلنا والاعتصام بميزاتنا وخصائصنا[30] داعيا إلى وحدة الصّف الإسلامي محذّرا من التفرقة ومنبها إلى ضرورة مقاطعة ما يكتبه دعاة الانحراف والانجراف وراء التوجهات الأتاتوركية معربا عن فرحته العظمى وهو يرى "كابل" تفتح صدرها لدخول جنود الإسلام ثائرين غاضبين لهداية الإسلام التي أهينت بين جدرانها وناقمين على الخطط التي وضعت مناقضة لما تواصى به أقيالها[31] "الذين يقرّرون ويبتون في الأمور الصعبة والمواقف الحرجة" الأوّلون كابرا عن كابر منذ عهد الفتح الأول على يد "محمد بن القاسم" إلى أن قام على عرشها الأمير عبد الرحمن راجيا أن لا يري المسلمين أيام الذلّ التي يقتصرون فيها على انكاره بالقلوب خاتما بهذا البيت الشعرى.

إنّما الإسلام في الصحراء ∴ امتهد ليجيء كلّ مسلم أسد[32].

هكذا هو الخطيب عين ساهرة وتطلّعات منتظرة وتحذيرات معتبرة حذّر الملك الأفغاني من عواقب ما قام به من سفك دماء الرجل المؤمن الشريف "بير صاحب" وما سمح به لزوجته من تحدّى الأصول الإسلامية بما فعلته من تقبيل الأجانب عنها على مرأى ومسمع من الناس، وسيره في الطريق الأتاتوركي المجاهر بعدائه للإسلام وهدايته مدّعيا الإصلاح، مما جعل الرابطة الشرقية تثني على خطواته معتبرة إياها تجديدا وتقدّما نحو الأفضل[33] وقد تصدى الخطيب لذلك. وألم يقل لأمان الله... وسيعلم أمان الله خان أن دم "بير صاحب" سينتصب أمامه في كلّ خطوة من خطواته وسيورده موارد التهلكة ومن يعش ير [34].

لم يكن الخطيب وقتها يقف موقف المتفرّج على ما يجري في تركيا وأفغانستان بل نجده يقارن الوضعين ويبيّن الفرق الموجود بينهما فيقول: « والفرق بين مصطفى كمال الأصلي وبين القائم بتقليده هو أن الأصلي وضع خطّة ورمى بها إلى نتائج معلومة

(30): نفسه.

(31): المصدر السابق نفسه، ص 3.

(32): نفسه.

(33): محب الدين الخطيب، دفاع الرابطة الشرقية عن شرور ملك الأفغان، الفتح، العدد 121، 8 نوفمبر 1928م، السنة 3، ص 8.

(34): محب الدين الخطيب، الحرّية في بلاد الأفغان، مصدر سابق، ص 3.

وهي الانتقال ببلاد تركيا من الإسلام إلى النصرانية، وأما مصطفى كمال المزّيف فشاب طائش أصبح ألعوبة بأيدي الكماليين وصنائعهم من الأفغانيين مثل غلام جيلاني ومحمود طرزي فهو أداة مسيّرة يلعبون بها كيفما يشاؤون...»[35].

ويعلق الخطيب على ما أراده ملك الأفغان من تحقيق نقلة بشعبه بإزالة الفوارق بين مجتمعهم و مجتمع الأوربيين المسيحيين الذين لا تعدّد للزوجات عندهم ولا ارتداء الحجاب أو اتخاذ العمائم كغطاء للرأس فقال: «....ويأخذ شعار النصارى ويجبر سكان بلاده المسكينة على ترك زيّهم القومي والملّي والتزيّي بشعار الأمم التي أذلّت المسلمين وسلبتهم استقلالهم وابتزّت أموالهم وجعلتهم تحت تصرّفها في الكبيرة والصغيرة...»[36].

حتى أنهم اتخذوا يوم 16 أغسطس 1928م يوم عيد للاستقلال مما جعل الخطيب في حيرة من أمر أولئك متسائلا: "...ولا ندري أي دولة كانت حاكمة لبلاد جدّه عبد الرحمن خان فجاء هو فأنالها استقلالها...!" [37].

ولم يكتف الخطيب بما وصله من أخبار وأنباء عن الملك أمان الله خان وما قام به من خطوات غربية منكرا الإمامة والجهاد والزكاة والمحاكم الشرعية بل فتح الخطيب المجال ونقل مقالا للكاتب محمود نديم المصري الذي عمل معلما بمدرسة دار المعلمين بكابل ومعاشرا للأفغان مدة 16 عاما[38]. الذي بين فيه بأنّ أكثر الثائرين على الملك هم من الشنواريين والإفريديين والمعوديين والمهمنديين المشهورين بالقوة والشجاعة والذين دوّخوا الهنود في أعوام قد مضت مبيّنا شدّة تمسّك الأفغانيين باللّحي واعتبار حلقها

(35): محب الدين الخطيب، مصطفى كمال في بلاد الأفغان، الفتح، العدد 111، 30 أغسطس 1928م، السنة الثالثة، ص- 8.

(36): نفسه.

(37): عن تقليد أمان الله خان للأوربيين في احتفال رسمي، أنظر رسالة نشرها المقطم بقلم مكاتبها في الهند، العدد الصادر يوم 22 أغسطس 1928م. "و أنظر كذلك، أفغانستان، شعر، الفتح، العدد 173، 14 نوفمبر 1929م، السنة 4، ص 3.

(38): محمد نديم المصري، حقيقة الحالة في أفغانستان، الفتح، العدد 130، 29 رجب 1347هـ، 10 يناير 1929م، السنة الثالثة، ص 12.

كفرا، وموضحا بأن في كابل ثلاث جمعيات سرية: الأولى ديمقراطية والثانية بلشفية والثالثة انجليزية وغالبية المنتمين لها من الجيش الذي ثار لعدم دفع رواتبه[39].

وأمام تشبث الملك الأفغاني بالتقليد الأعمى للغرب بما يسميه إصلاحا وتصريحاته الاستفزازية لأبناء شعبه المحافظين من ذلك نبذة من خطبة ألقاها في حفلة تكريمية أقيمت له حيث قال: «...إنني أجد من الشعب الأفغاني نفورا من هذا الإصلاح! ولذا فإنني مضطر بأن أسوقه بالسياط لقبوله. نريد أن نجاري الغربيين في عاداتهم وطرق معيشتهم وأن نضرب بهذه التقاليد الفارغة عرض الحائط. وليعلم كل متدين وعالم أنني سوف أكون عدوه اللّدود وسأطرده حتى يهلك أو يصلح من أمره ويسير مع المدنية...»[40].

ثم يتباهى ويفتخر بنفسه أنه أول من جرأ على محاولة تغريب الشعب الأفغاني حيث يقول:«...أنا أعد نفسي سعيدا لأنني أنا أول من سيقضي على هذه الشجرة الخبيثة، شجرة الجمود وحفظ التقاليد في هذا البلد الأمين وآمل أن يساعدني الشعب في اقتلاع جذورها حتى يزول أثرها وتصبح أثرا بعد عين....»[41].

إن الخطيب رأى في تلك التصريحات تصريحات ملك آخر الزمان "مصطفى كمال بلاد الأفغان على حد قوله" الذي سعى بكل ما أوتي من قوة تقليد أوربا في عاداتها وطرق معيشتها فقط وهو بذلك يتمسك بالفرع دون الأصل وينزل بساحة بلاده الخراب العاجل[42]. وإن ملك الأفغان بعمله هذا قد جنى جناية كبرى على شعبه هيهات أن يصلحها الدهر على رأي الخطيب[43] وانتهى إلى القول بعد وصول أخبار الثورة الأفغانية على الملك قائلا: «...سنرى ما يكون لحرب بين الكفر والإيمان....»[44].

---

(39): نفسه.

(40): محب الدين الخطيب، جناية ملك الأفغان على شعبه "رأي الهنود في تلك الأعمال الجنونية"، الفتح، العدد 120- 18 جمادى الأولى 1347هـ/ 1 نوفمبر 1928، السنة الثالثة، ص 7.

(41): نفسه.

(42): نفسه.

(43): نفسه.

(44): نفسه.

وأمام هذا الوضع الاستفزازي المعادي لمقومات الشعب الأفغاني العريق ثارت ثائرته على الأوضاع ولم يخضع إلى دولة تسعى إلى تغريبه وقد أشار الخطيب إلى ذلك قائلا: «...بأنه ثار على حكومة تصادره في حريته الدينية وبلغ تفاقم الثورة إلى حد إرسال الجيوش لمقاومتها، وسنرى ما يكون من حرب بين الكفر والإيمان....»[45].

وأمام اشتداد الثورة ضد الملك الأفغاني أمان الله خان عاد هو وحرمه إلى الوطن من الزيارة التي قام بها إلى أوربا لإعداد العدة للإصلاحات الجديدة أسوة بأتاتورك ورضا بهلوي في إيران[46].

والقضاء على الثورة التي اشتد عودها عام 1928م بقيادة "باجا ساقا" واختار لنفسه لقب "حبيب الله الثاني" بعد أن استخلص البيعة لنفسه. وقد نشر الخطيب له منشوره الشهير الذي جاء في الفتح تحت عنوان: منشور الأمير حبيب الله إلى العالم الإسلامي- والذي دعا فيه المسلمين في كل مكان إلى العلم بأنه قد تم اختياره ومبايعته من طرف العلماء والأشراف ورعايا العاصمة والولايات وجميع جيوش الملك الذين التحقوا به وبثورته[47].

وفي يناير 1929م اضطر إلى التخلّي عن العرش ومغادرة البلاد إلى إيطاليا أين مات هناك عام 1960م[48]. وتولى السلطة بعده ابن عمه الملك "نادرخان" الذي قبض على زعيم الثوار في "كابل" وأعدمه في أكتوبر 1929م.

ورغم أن الملك الجديد نادرخان حاول التخلي عما قام به ابن عمه من خطوات تغريبية وأعلن أن الحكومة الأفغانية الجديدة تسير على منهاج الشريعة الإسلامية وتنفيذ أحكامها بكل دقة وشدة كما تنشئ مجلسا قوميا لتمثيل الشعب ومجلسين لمراقبة الآداب العامة والمطبوعات والحركة التجارية والاقتصادية. كما أعلن مساواة

(45): المصدر السابق نفسه.

(46): كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية "مرجع سابق، ص 801.

(47): أنظر منشور الأمير حبيب الله إلى العالم الإسلامي، الفتح، العدد 143، غرّة ذي القعدة 1347هـ، 11-04-1929م، السنة الثالثة، ص 5.

(48) : Mike Barry- AFGHANISTAN- édition Seuil. Paris- France- 1976. P. 158.

أبناء الشعب أمام القانون وضمان حقوقهم. وقد نشر الخطيب على صحيفة الفتح منشور الملك نادرخان نقلا عن جريدة "إصلاح" الأفغانية.(49)

هذا وقد نشر الخطيب في صحيفته "الفتح" مقالة تعريفية بوزير أفغانستان المفوض في مصر من طرف حكومة أفغانستان بزعامة "نادرخان" و هو سعادة "محمد صادق مجددي" الذي اضطهده الملك أمان الله خان و اعتقله و جاء تعيينه اعترافا بما له من مكانة بين رجال الأفغان، وما اتصف به من صلابة دينية إسلامية(50).

ويشير الخطيب إلى أن محمد صادق مجددي ألقى كلمة في رواق الأفغانيين بالأزهر الشريف معتذرا عن عدم قدرته على الخطابة بالعربية الفصحى والإعراب عن صميم المحبة للحكومة المصرية وعلماء الأزهر داعيا إلى حسم البدع الشيطانية والتمسك بآداب السنة الشريفة خاتما كلمته بالدعاء لهداية سلاطين المسلمين وجعلهم في خدمة الإسلام(51).

إن نشر الخطيب لكلام الوزير الأفغاني المفوض في مصر ناتج عن تقديره لإخوانه من علماء الأمة الإسلامية في أفغانستان وبيان لقرائه أن في العالم الإسلامي رجالا مؤمنين ومصلحين ينصرون قضية الإسلام ويعملون بتعاليمه(52).

هذا وقد حاول الملك نادرخان أوشاه (1933-1929م) رأب الصدع وتهدئه الأوضاع في البلاد إلا أنه أزيح عن السلطة هو الآخر وهيمن عليها الملك ظاهر شاه «1933-1973م» الذي عين هاشم خان كحاكم من 1933 إلى 1946م الذي التزم الحياد في الحرب العالمية الثانية، ونظرا لأسباب مرضية تخلى عن الحكم لشاه محمود عام 1946م، الذي عين الأمير داوود عام 1953م وزيرا أولا من أجل كسر عزلة

(49): منشور الملك نادرخان، الفتح، العدد 177، 10 رجب 1348هـ، 12 ديسمبر 1929م، السنة 4، ص5.

(50): محب الدين الخطيب، وزير أفغانستان المفوض في مصر، الفتح، العدد 196، 24 أبريل 1930م، 25 ذو القعدة 1348هـ، السنة 4، ص- 5.

(51): نفسه.

(52): راجع في ذلك مستقبل أفغانستان، الفتح، العدد 175، 28 نوفمبر 1929، السنة 4، ص6 وأنظر كذلك محب الدين الخطيب، كل عام وأنتم بخير واللّغة الجديدة التركية وانتهاء الفتنة في بلاد الأفغان، الفتح، العدد ، 149، 30 مايو 1929م، السنة 3، ص 1 – 2 - 3.

أفغانستان[53]. وقد قام هذا الأخير بتقوية روابط الصداقة مع الإتحاد السوفياتي خاصة بعد زيارة رئيسه خروتشوف لكابول[54].

وفي الفترة ما بين 1963م و1973م اشترط الملك ظاهر شاه استقالة داوود من السلطة ومنع أفراد العائلة المالكة من المشاركة في الحياة السياسية والهيمنة على السلطة لوحده[55]، بعد أن سن دستورا للبلاد عام 1964[56]. وقد أقام علاقات دبلوماسية مع باكستان ورجح كفة علاقاته الخارجية من الولايات المتحدة الأمريكية مع الاحتفاظ بسياسة عدم الانحياز[57].

وقد عرفت البلاد في عهده مجاعات كبيرة وتخلف وابتزاز الأجانب لخيراتها ناهيك عن الهيمنة الأمريكية[58] الأمر الذي أدى بالأمير محمد داوود إلى القيام بانقلاب عسكري ليلة 16 و 17 يوليو 1973م ألغى من خلاله الملكية وأعلن الجمهورية[59]. وقد حاول هو الآخر القيام ببعض الإصلاحات إلا أن الشيوعيين قويت شوكتهم في عهده الأمر الذي أدى بهم إلى الانقلاب عليه بثورة دموية في أبريل 1978م بزعامة نور محمد طراقي ثورة رأى فيها الشيوعيون بأنها فتحت لـ 18 مليون أفغاني طريق التطور والمساواة والعدالة الاجتماعية[60].

إلا أن الرئيس نور محمد طراقي لم يهنأ بالسلطة وثورته حيث قام حفيظ الله أمين بالانقلاب عليه واغتياله[61]. وهو الآخر قام ضده بابراك كارمل بانقلاب عسكري

([53]) : Mike Barry. O.P.C.I.T.- P :162.

([54]) : I.D.E.M- P : 163

([55]) : I.D.E.M

([56]) : I.B.I.D- P: 185.

([57]) : I.B.I.D- P: 166.

([58]) : I.D.E.M- P: 164, 165.

([59]) : I.D.E.M- P: 166.

([60]) : Timour Gaîdar, [Correspondant de la Pravda] les amis et les ennemis de révolution AFGHANE. ((tire du livre-sous le ciel Afghan-Spoutnik- Avril 1983-* Agence de presse NOVOSTI- MOSCOU. U.R.S.S, 17e Année. P.104.

(61): أ- بتروف، حول الأحداث في أفغانستان "عن البرافدا"، المدار، عدد 2، فبراير 1980م، وكالة الأنباء نوفوستي، موسكو، الاتحاد السوفياتي، ص 4. وأنظر كذلك أحمد منصور، رسالة بيشاور، أفغانستان، انقلاب

وطلب من الاتحاد السوفياتي بالتدخل عسكريا لحماية نظامه وقد تم ذلك فعليا في ديسمبر 1979م[62]، حيث غزى السوفيات البلاد ودخلوا في حرب ضروس مع مجاهديها دامت عشر سنوات أرغمته على الخروج بخفي حنين كما تقول العرب في عام 1989م[63].

وهكذا تهاوى الحكم الشيوعي وتم القضاء على الرجال الذين ربطوا بلادهم بالاتحاد السوفياتي من طرف المقاومة الإسلامية الأفغانية التي دحرت السوفيات وجيشهم الأحمر كما دحر الإنجليز قبلهم حتى عرفت البلاد باسم "مقبرة الغزاة" و لم تفلح كل محاولات السيطرة قديما وحديثا، واليوم تعرف البلاد حربا لا هوادة فيها تقودها الولايات المتحدة وجيوش الاتحاد الأوربي والحلف الأطلسي التي تدفع الثمن باهظا من قتلاها، فالشعب الأفغاني عنيد وعزيمته وشكيمته قويتان وتمسكه بإسلامه لا يعرف التهاون والانصياع والرضوخ للأجنبي أيّا كان، لأنه شعب متطلّع إلى الحرّية والعمل بأحكام الشريعة الإسلامية متمسّك بإسلامه، متفان في سبيل قضيّته وتلك هي أفغانستان التي لم يهنأ في حكمها إلاّ المسلمون فلا الإسكندر المقدوني ولا جنكيز خان ولا تيمورلنك ولا قياصرة روسيا و لا الإنجليز و لا دولة السوفيات و حتى نابليون صدّته جبالها الوعرة و عاد من حيث بدأ.

كابل وأبعاد الصراع بين خلق وبرشم، المجتمع، العدد 958، 16 شعبان 1410 هـ، 13 مارس 1990 م، السنة 21، ص 17، 18.

(62): "أحيل القارئ الكريم إلى مطالعة كتيب ماذا ينتظر الاتحاد السوفيتي والعالم من نتائج... بعد التدخل في أفغانستان؟، افتتاحية في جريدة الثورة بحلقتين في يومي 3 و4 يناير1980م حول التدخل السوفيتي في أفغانستان، دار الثورة، بغداد العراق، 1980م، ص 3 وما بعدها".

(63): راجع في ذلك رفيق روؤف، بعد أن أزف موعدا الرحيل السوفياتي "شتاء كابول... الساخن، مجلة كل العرب، العدد 338، 13 فبراير 1989م، 7 رجب 1409هـ، ص 16 – 17 – 18 - 19.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- باللغة العربية:

1. أ. بتروف، حول الأحداث في أفغانستان "عن البرافدا"، المدار، عدد 2، فبراير 1980م، وكالة الأنباء نوفوستي، موسكو، الاتحاد السوفياتي.
2. أحمد منصور، رسالة بيشاور، أفغانستان، انقلاب كابل وأبعاد الصراع بين خلق وبرشم، المجتمع، العدد 958، 16 شعبان 1410 هـ، 13 مارس 1990 م، السنة 21.
3. جريدة إصلاح الأفغانية، العدد 143 والعدد 177
4. جريدة الثورة، "حلقتين" يومي 3 و4 يناير1980م حول التدخل السوفيتي في أفغانستان، دار الثورة، بغداد العراق، 1980م.
5. رسالة نشرها المقطم بقلم مكاتبها في الهند، العدد الصادر يوم 22 أغسطس 1928م.
6. رفيق روؤف، بعد أن أزف موعدا الرحيل السوفياتي "شتاء كابول... الساخن، مجلة كل العرب، العدد 338، 13 فبراير 1989م، 7 رجب 1409هـ.
7. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية (أفغانستان في العصر الحديث) "نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط 10، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م.
8. مجلة الجامعة العربية عن جريدة النور اللاّهورية الهندية، الفتح، العدد 120، ص 7، العام 1928م، وصحف المقطم وغيرها.....
9. محب الدين الخطيب، الفتح العدد 130.
10. محب الدين الخطيب، الفتح(الدايلي تلغراف في الله آباد بالهند)، العدد 143.
11. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 111 (كمال في بلاد الأفغان)، 30 أغسطس 1928م، السنة 3.
12. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 119 (الحرية في بلاد الأفغان)، جمادى الأولى 1347هـ، 25 أكتوبر 1928م، السنة 3.

13. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 120 (جناية ملك الأفغان على شعبه "رأي الهنود في تلك الأعمال الجنونية")، 18 جمادى الأولى 1347هـ/ 1 نوفمبر 1928، السنة 3.
14. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 121 (دفاع الرابطة الشرقية عن شرور ملك الأفغان)، 8 نوفمبر 1928م، السنة 3.
15. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 127 (وقفة أمام كابل)، 8 رجب 1347هـ، 20 ديسمبر 1928م، السنة 3.
16. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 130 (محمد نديم المصري، حقيقة الحالة في أفغانستان)، 29 رجب 1347هـ، 10 يناير 1929م، السنة الثالثة.
17. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 132 (شكيب أرسلان، ثورة الأفغان)، 24 يناير 1929م، السنة 3.
18. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 143 (منشور الأمير حبيب الله إلى العالم الإسلامي)، غرّة ذي القعدة 1347هـ، 11-04-1929م، السنة 3.
19. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 149 (كل عام وأنتم بخير واللّغة الجديدة التركية وانتهاء الفتنة في بلاد الأفغان)، 30 مايو 1929م، السنة 3.
20. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 173 (أفغانستان، شعر)، 14 نوفمبر 1929م، السنة 4.
21. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 175 (مستقبل أفغانستان)، 28 نوفمبر 1929، السنة 4.
22. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 177 (منشور الملك نادرخان)، 10 رجب 1348هـ، 12 ديسمبر 1929م، السنة 4.
23. محب الدين الخطيب، الفتح، العدد 196 (وزير أفغانستان المفوض في مصر)، 24 أبريل 1930م، 25 ذو القعدة 1348هـ، السنة 4.
24. محمد العيد مطر، أيام في بلاد الأفغان، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" ط 1، بغداد، العراق، 1986م.

ب- باللغة الأجنبية:

1. Mike Barry- AFGHANISTAN- édition Seuil. Paris- France- 1976.
2. MIKE BARRY, AFGHANISTAN, Petite Planète, Tardy Quercy, Auvergne A Bourges-Paris 6e, France,1974.
3. Timour Gaîdar, [Correspondant de la Pravda] les amis et les ennemis de révolution AFGHANE. ((tire du livre-sous le ciel Afghan-Spoutnik- Avril 1983-* Agence de presse NOVOSTI- MOSCOU. U.R.S.S, 17e Année.